

القراءة الشفاهية للنص الأدبي؛ تأثير و تأثير

العربي بن عاشور

أستاذ محاضر

المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة -

عمل رجال التربية والمختصون على مسايرة التطور العلمي والتكولوجي، بأن حاولوا تطوير الوسائل والأساليب البيداغوجية التي تساعد على التحصيل العلمي في مختلف المراحل والمستويات التعليمية انطلاقاً من الظروف التي تمر بها مجتمعاتهم ، والتي تحتم عليهم مواكبة هذا التطور للوصول إلى المكانة التي تضمن لهم الحياة في حرية ورفاه. غير أن العملية التعليمية تظل دائماً في حاجة إلى مراجعة، وذلك تماشياً مع متطلبات العصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتي تفرض نمطاً خاصاً من التعليم الذي يكفل هذه المتطلبات لتصبح هذه العملية في غاية التعقيد، لأجل ذلك تسخر كل الكفاءات من أجل العمل لمحاولة الوصول إلى الأهداف المرجوة. غير أنه بالرغم مما بذل هـالمختصون في هذا المجال يظل دون مستوى التطلعات، خاصة ونحن نرى بعض التدني في مستوى التعليم ، يرجع ذلك إلى عدة أسباب لا مجال إلى الخوض فيها الآن، ولا أدعي أنني سأعرض إلى النظريات الفلسفية والنفسية التي تناولت موضوع التعليم، غير أنني أليت على نفسي ألا أترك الموضوع يمر دون أن أشير إلى جانب يتصل مباشرة بالعمل داخل حصة الدرس ويتعلق الأمر بالقراءة الشفاهية الجهرية للنص الأدبي، والذي كنت دائماً أنبه الطلبة إليه، وهو الجانب الذي شغلني كثيراً وأنا أرى أنهم لا يولونه أدنى اهتمام، أحاول أن أظهر قيمته، خاصة وأنه يتصل بتكوين الأستاذ الذي عليه أن يتعلم الخطوات التي يمر بها كل درس، إذ يتوقف نجاحه على مدى استيعاب تلك الخطوات التي تشكل حلقات ضمن سلسلة الدرس، وهذا فقط لا يكفي، بل عليه أن يلم بالجانب العلمي، وأن يكون لديه رصيد معرفي يؤهله للتواصل مع متعلميه، بالشكل الذي يحقق الغاية المرجوة. وتأتي عملية القراءة الشفاهية التي أرى أنها ذات أهمية لكونها الـعتبة الأولى في الخطوات الثابتة للدرس، بحيث نحفز جميع الجوارح لتقبل بشغف على تذوق النص وفهم دلالاته ، مع التعلق ببقية ما يأتي من تحليل نقدي، أو درس في قواعد اللغة أو غيره.

فالقراءة الشفاهية الجهرية للنص الأدبي شعرا كان أو نثرا لابد أن تتوفر فيها مجموعة من الخصائص لتحقيق الفهم والمتعة للمستمع، والحديث مقصور على المتعلمين بالدرجة الأولى، هؤلاء الذين سيصبحون أساتذة. فالقراءة الجيدة لابد أن تشتمل على مجموعة من الموصفات التي تمكن المتعلم من أن يستفيد من النص المقروء في إثراء قاموسه اللغوي والمعرفي، وذلك عن طريق التقاط ما يسمع شفاها من تعابير تتخللها تخيلات يعتمدها صاحب النص من حين إلى آخر، يقول في ذلك تامر سلوم: "...هناك فاعلية التخيل أو نشاطه الجمالي الذي يعتمد على (المبالغة) و (الإغراق) أو (الغرابة والبعد)، ويؤدي إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه بطريقة خاصة، أو باعتبار الصياغة والتشكيل من قبيل التحسين أو التقييح..¹ وعلى المتلقي أن يعرف كيف يفرق بين الحقيقة والتخيل ويستفيد من اللغة الموظفة التي تساعده على نقش مفرداتها في ذاكرته، بحيث يدرك معانيها من خلال ما يحدثه من إسقاطات على مشاعره وأحاسيسه فيتعلق بها لتكون ناقلة لمكوناته، بذلك يثري قاموسه اللغوي الذي يعينه على التعبير والحوار والتواصل، بذلك تحصل الفائدة.

غير أنه لبلوغ المرام لا بد من مراجعة بعض المسائل التي تتعلق بكل من الأستاذ (القارئ الشفاهي للنص الأدبي) والمتلقي (المتعلم)، إذ التعليم المفيد يقتصر على حسن استيعاب كل منهما لوظيفته، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون - في حديثه عن حسن التعليم في مقدمته، إذ أوكل كل الأهمية إلى اللسان من حيث القوة والضعف في عملية التعليم والتعلم، يقول: "أيسر طرق هذه الملكة قوة اللسان بالمحاور والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها. فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة. فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم. ثم بعد تحصل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكة قاصرة في علمه إن فاض أو ناظر أو علم، وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده².

فهو بهذا يشير إلى الأسباب التي أدت إلى الضعف الناجم عن طريقة التعليم إن وجدت ، والتي يعطي فيها أهمية إلى اللسان الذي يملك القدرة على خلق العملية التواصلية بل وإنجاحها، فيرى أن من أسباب الضعف الاكتفاء بالحفظ مما يقوض اللسان ، ويجعله قاصرا على الإفصاح عما في فكره على حد اعتبار أحد الفلاسفة أن " التفكير كلام غير منطوق، أما الكلام فهو تفكير منطوق". وما دامت "اللغة ليست وسيلة للتعبير عما بنفس المتكلم أو الكاتب فقط، بل هي وسيلة للتفكير أيضا، وإثارة أفكار المستمع والقارئ ومشاعرهما وتحريك وجداناتهما ودفعهما إلى الحركة والعمل، استجابة وتلبية لأثر الكلام المستمع إليه أو

المقروء"³، ما أحوج متعلمينا إلى توظيف ألسنتهم للإفصاح عن أفكارهم وإظهار ما يختلج في صدورهم، إذ نجد الكثير منهم لا يشارك في حصة الدرس، وإذا تكلم لا يقدر على إطلاق لسانه سلسا سليما، ويرجع ذلك - في رأينا - إلى عدة أسباب منها:

1- تساهل المعلم مع المتعلم بالسماح له بالحديث بالدارجة، وإن حاول التحدث باللغة العربية تسامح بعض الأساتذة مع الطالب، فلا يقفوا عند الأخطاء التي يقع فيها فيصححوها له مع التعليل بضرورة مراعاة القواعد النحوية واضحة، تنظم الفهم بحيث لا يلتبس على السامع أن القائم بالفعل - على سبيل المثال - يكون مرفوعا والذي وقع عليه الفعل يكون منصوبا. فاللغة العربية تملك قواعد إعرابية هي فرع المعنى، فهي تحدد وظيفة كل كلمة.

2 - قلة المطالعة، فإذا دفعوا إلى ذلك ترى الكثير منهم يلجأ إلى طريقة الحفظ لا غير، فيعرض عليك ما حفظه دون فهم، وإن نسي كلمة مما حفظ في أثناء عرضه لذلك ضاع الكل، فيحاول أن يرجع إلى بداية ما عرض، وإن حدثته فيما عرضه تجده عاجزا عن الإبانة عما بداخله لعدم تعوده على التحدث بطلاقة، يبحث عن تلك اللغة التي حفظها، لكنه لا يقدر على توظيفها، ويبقى مكبلا بين ما يحفظ من تعابير، وما يجب أن يقوله في ما هو مطلوب منه، إلا في عملية الكتابة والتي لا تفيده في أثناء الحديث لأن الموضوع مختلف، فتجده يتلعثم وقد تقطعت به السبل للوصول إلى الفكرة التي يريد قولها فلا يفهم ولا يفهم، ظل قاموسه اللغوي محدودا يفتقر إلى الألفاظ، أما ما وجد فلا يقدر على توظيفه.

2 - لم يعود الطلبة أنفسهم على فن الاستماع، والإنصات، مع الإشارة إلى الاختلاف الموجود بينهما، فالاستماع هو عملية منفصلة ومتقطعة، أما الإنصات فهو عملية متواصلة " ⁴، كما أن تربية الذوق تنشأ من خلال حسن سماع الصوت الذي نستطيع من خلاله أن نحس ونستشعر معاني النص ونحن مشدودون إلى مصدره وهو ينسكب في أعماقنا، وهو ما أشار إليه والترج أونج في كتابه - بعنوان "الشفاهية والكتابية" قوله بأن هناك: "سمة أساسية تتمثل في العلاقة الفريدة للصوت بداخلية الإنسان، وذلك عندما نقارن الصوت ببقية الحواس، وهذه العلاقة مهمة بسبب داخلية كل من الوعي والتواصل الإنسانيين" ⁵ ويظهر من قوله مدى تأثير الصوت على المتلقي، إذ به يتمكن من إدراك المعنى، من خلال الإحساس والتخيل، ثم يحاول التعبير عما بداخله متناغما مع تلك المؤثرات التي يريد أن ينقلها لمن حوله، وبذلك يحقق التواصل مع الآخري، ثم يوضح والترج أونج يقول: "إن البصر يفرق، أما الصوت فيجمع. وفي حين يضع البصر

خارج ما يراه على مسافة، فإن الصوت ينصب في السامع. والرؤية تحل- كما لاحظ ميرلو بونتي (1961)، وهي تأتي إلى الكائن الإنساني من اتجاه واحد في كل مرة، وينبغي علي لكي أنظر إلى حجرة أو إلى منظر طبيعي، أن أحول عيني من مكان إلى آخر. لكنني عندما أسمع شيئاً ما أستجمع الصوت من كل اتجاه في الوقت نفسه، حيث أكون في بؤرة عالمي السمعي الذي يغلفني واضعاً إياي في مركز الإحساس والوجود. وهذا التأثير المركزي للصوت هو ما تعتمد عليه بصورة مكثفة عملية إعادة إنتاج الصوت التي تمتاز بالدقة العالية. إنك تستطيع أن تغمر نفسك في السمع، أو الصوت".⁶

هذا الكلام الذي ذكره والترج أونج نجده قد سبق إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون}⁷ فلقتضت حكمته أن جعل السمع أول حاسة قبل البصر لدى الطفل بعد ولادته، فهو يحتل مركز الصدارة من حيث الأهمية، لكونه الوسيلة التي تمكن للمستمع من إدراك العالم الخارجي، ولأن الأصم بالولادة أبكم بالضرورة، وعليه كان السمع قبل الكلام، وتظهر أهميته وفائدته في حياة المتعلم التواصلية، كما أثبتت دراسات كثيرة في أوروبا وأمريكا إمكانية تفوق التلميذ في الدراسة كلها تبعاً لتفوقه في مهارات الاستماع. وأن التلميذ عندما يتعرف على نمطه الاستماعي، فإنه يستطيع أن يقوم نفسه في الاستماع، وفي فنون اللغة الأخرى، بل وفي عملية التعليم والتعلم ككل".⁸

كان السماع مرتبطاً بالصوت، فغالبا ما يشدنا الصوت الشجي، حتى وإن كنا لا نرى صاحبه، لكن التأثير حادث ونحن نستمع إلى مطرب أو شاعر أو مرثل للقرآن، فيتملكنا إعجاب بهذا الصوت وبنبراته المؤثرة، والأجمل من ذلك أننا نشعر بالانسجام بين الصوت والمعاني، مما يدفع بنا إلى التحليق بأخيلتنا في أفق الآمال والآلام، يستهوينا الصوت الذي يكسب المعاني روحاً تشدنا وتأسرنا إليها بمتعة خفية لا نكاد نفيق منها حتي نجد أنفسنا نعرضها على واقع الحياة بما فيه من مفارقات. وقد نسمع مر - تلا للقرآن فيكتنفنا شعور بالرهبة والخوف حيناً، وتتملكنا الدهشة حيناً آخر لما يضيفه هذا الصوت على تلك القصص القرآنية، فيتآلف مع تلك المعاني التي تقع على النفس فتزداد خشوعاً أمام فيض من العبر التي تحمل دلالة على قدرة الخالق.

وفي كثير من الأحيان نسمع قارئاً يقرأ نصاً شعرياً كان أو نثرياً، فنصدر حكماً بالإيجاب لذلك القارئ لها تركه في أنفسنا من حلاوة القراءة، لكن السؤال الذي يخالجنا هو: هل القراءة الشفاهية الجهرية مقصورة

على صاحب الصوت الشجي فقط؟ ثم ما علاقة القراءة بالمعاني والدلالات الواردة في هذه النصوص على اختلاف أنواعها؟ وهل هؤلاء الذين يملكون هذه المهارة لهم الحق وحدهم دون غيرهم أن يقرأوا هذه النصوص قراءة شفاهية جهرية؟، ثم ما مصير الآخرين الذين لا يملكون هذا الصوت الشجي؟ إذا علمنا أنه طبيعة في الإنسان تولد معه. ثم هل لهذه القراءة الشفاهية المعبرة أثر على السامع؟. نحاول - ومن خلال خبرتنا التعليمية التي تجاوزت ثلاثة عقود من الزمن - أن نبدي بعض الآراء ونحن نحاول الإجابة على تلك الأسئلة نبتغي من ورائها تحقيق الفائدة ولو بالقدر اليسير بالتنبيه إلى هذا الجانب من العمل التعليمي البيداغوجي.

لا يختلف اثنان في أن القراءة الشفاهية الجهرية للنص الأدبي بنوعيه الشعري أو الفثري أمر موكل إلى تمكن القاريء ومهارته على اعتبار أنها عملية بيداغوجية توجب الاعتناء بها ، خاصة من طرف قارئ النص قراءة شفاهية جهرية، ولأنه ينقل الرسالة عبر الصوت إلى المستمع، عليه أن يجيد القراءة، لأنه سينوب عن كاتب النص، وبالتالي عليه أن يستحضر جميع قواه النفسية والشعورية من أجل تمثيل الغائب (الكاتب) أحسن تمثيل، فيبعث في النص روحا هي روح الكاتب وأحاسيسه ومشاعره، لأن القراءة الجيدة تكاد تكون نصف الفهم لما لها من أثر على المستمع للنص الأدبي أولا وعلى المتلقي ثانيا، كل ذلك من أجل الوصول إلى الغاية المنشودة وهي جودة التعليم على حد تعبير ابن خلدون: " على قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول الملكة"⁹.

لا أعني القراءة التأويلية بل القراءة الشفاهية الجهرية التي عادة ما تكون في بداية كل درس أدبي، تقدم فيه هذه النصوص التي نريد أن نعالجها بالشرح والتحليل والنقد، إذ عادة ما توكل هذه المهمة في البداية إلى الأستاذ الذي يعرف ما تتطلبه القراءة المعبرة من ج م اليات، فهي ملكة تحتاج إلى إتقان وإلى صوت ، الأمر الذي يدفع بالبعض إلى تعيين متعلم من الصف ينوبه في عملية القراءة الشفاهية الجهرية، لأنه يمتلك جماليات القراءة فيقرأ النص أمام زملائه ويكون نموذجا يحتذى. غير أنه يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: ما قيمة هذه القراءة، وما علاقتها بالسامع أو المتلقي؟.

وعلى الرغم من أننا أجبنا عن جانب من هذا السؤال، لكن لا بأس أن نسهب لكي نتضح الفكرة ويتحقق المراد، فنقف على ما ورد في قوله تعالى: {ورتل القرآن ترتيلا} ¹⁰، فنجد الآية الكريمة تبدأ بفعل أمر يأتي على وجه الإلزام وهو الفعل " رَتَّلَ " من رَتَّلَ الكلام: أحسن تأليفه وأبانه وتمهل فيه، والترتيل في القراءة: الترسل فيها والتبيين من غير بغي... وقال: بَيَّنُّهُ تبييناً... والتبيين لا يتم بأن يعجل في القراءة ، وإنما

يتم التبيين بأن يُبين جميع الحروف ويُوفّيها حقها من الإشباع. وترتيل القراءة: التّاني فيها والتمهّل وتبيين الحروف و الحركات.¹¹ "ورتل الكلام ترتيلاً": أحسن تأليفه.. ترتل فيه: ترسل.¹²

يتضح من ذلك أن القراءة الشفاهية تتطلب التّاني والتمهّل وإعطاء الحروف - التي هي عند علماء اللسان أصوات - حقها من الوضوح والإبانة بالتركيز على مخارجها، ثم إظهار الحركات التي على الحروف، ولما كان الحرف لا يعطي معنى إلا مع حرف آخر أو أكثر، تتشكل الكلمة ثم الجملة ثم النص الذي ينبني على عدد من الجمل التي تأتي لتوضح فكرة أو تعبر عن رأي أو شعور، يأتي ذلك وفق قواعد تحددها لغة كل أمة، أما في لغتنا العربية التي كان فيها المجتمع الإنساني ينتج إبداعاً شفافياً قبل أن يكون كتابة نجد مجموعة من القواعد النحوية والصرفية التي تحدد التركيب الصحيح للجملة وتسهم كذلك في توضيح المعنى وتقريبه لدى ذهن السامع، كما تساعد على فتح باب التأويل من أجل تجلي المعنى الخفي سواء تعلق الأمر بالرموز أو الصور أو الانزياحات ، كل هذه العناصر الثلاثة مجتمعة: القارئ الشفاهي للنص ، الصوت، المتلقي(المنصت).

* - القارئ الشفاهي للنص:

تتم العملية التعليمية وبالخصوص الدرس الأدبي الذي يتناول نصاً من النصوص النثرية أو الشعرية بأن يمهد للدرس بقراءة النص (شعراً أو نثراً) قراءة شفاهية نموذجية أمام المتعلمين، الذين ينظرون إلى هذه القراءة الشفاهية النموذجية على أنها من الناحية الشكلية الكيفية المثلى في القراءة الشفاهية المعبرة للنص، لذا تعين على القارئ أن يراعي عدة جوانب تتعلق بعملية القراءة منها:

1 - مادام موضوعنا يتناول العلاقة بين القارئ الشفاهي والمتلقي، فهناك أداة تمكن القارئ من إيصال

ما يقرأ إلى المستمع، وهي حاسة السمع بالدرجة الأولى، إذ من الحواس التي تخدم الأغراض

العقلية لدى الإنسان¹³، فالصوت وما يتميز به من وظائف فونولوجية أطلق عليها دي سوسير

مصطلح "الفونيم"، يحدث عندما يشرع الأستاذ في القراءة الجهرية للنص، حيث تصدر ذبذبات لها

تأثير كبير على المتلقي، لذلك توجب على القارئ الشفاهي أن يراعي ما يلي:

2 - أن تكون مخارج الحروف واضحة بيّنة، جلية ليس فيها شبهة (لهم إذا كان المتلقي يعاني مرضاً

عضوياً في الجهاز السمعي فهذا استثناء)

3 - التركيز على التنغيم الذي يظهر عبر تموجات ناجمة عن هذه الحروف (الأصوات) ، فيعطي المد حقه من الوقت حتى يتوضح في الكلمة.

4 - مراعاة علامات الاستفهام والتعجب والأمر والنهي ، التي تظهر في النص وهي تشير إلى حالات نفسية يؤكد بها القارئ من خلال تلك الحركات والإشارات التي تظهر مصاحبة لقراءته كالإشارة باليد أو بالرأس أو بلامح الوجه أو بهما معا تماشيا مع طبيعة النص؛ الحماسي والوجداني والوصفي. ولا شك في أن هذه الأنواع كل ينفر د بخصائص تظهر في أثناء القراءة الشفاهية الجهرية.

* - الصوت وأثره على المستمع (المتلقي):

نظرا للتداخل بين الصوت والسمع الذي يستوجب متلقيا، كان لهذا الصوت أثر كبير على المتلقي، بحسب طريقة صدوره، فقد ينفّر وقد يقرب، وما دما نبحت عن الكيفية التي بها نقترب من الآخر، فليس أحسن وسيلة وأشد تأثيرا من الصوت الطلق الجهوري الذي فيه من الطلاوة التي تحبب السماع ، حيث ذهب جورج سانتيانا إلى إعطاء الصوت بعدا يتصل بعالم السماع، يقول: " لا شك أن عالم الصوت له القدرة على التنوع اللامتناهي، ولو كانت حاسة السمع لدينا مرهفة حقا لأدركنا أن عالم السمع له أيضا القدرة على الامتداد اللامتناهي. وهو لا يقل عن عالم المادة في إثارة اهتمامنا وإيقاظ انفعالاتنا"¹⁴.

وقد لا يكفي الصوت وحده بل على صاحبه أن يمتلك القدرة والمهارة على توظيف الصوت نقيا لذلك كان "لذلك كان لا بد من التوفيق بين مبدأ النقاء ومبدأ آخر يمكننا أن نسميه مبدأ الاهتمام؛ إذ لا بد للموضوع أن يتحقق فيه القدر الكافي من التنوع والتعبير لكي يحافظ على اهتمامنا فلا يجعلنا نمله ولكي يثير طبيعتنا على نطاق واسع...وهكذا فمبدأ النقاء لازم وجوهري للتأثير الجمالي، ولكن مبدأ الاهتمام مبدأ ثانوي، وإذا طبق وحده فلن ينتج لنا أي جمال"،¹⁵ وعليه فالمهمة الكبيرة لملقاء على عاتق القارئ الذي عليه أن يراعي السير بصوته وفق ما تتطلبه عبارات النص، فقد يرفع من صوته، وقد يخفض، وقد يشدد وقد يلين، و لأنه يفعل في النفس قبل أن يفعل في العقل، لذا كان الكلام يقابله السماع أي الصوت، وهو ما ذهب إليه والترج أونج في كتابه: "الشفاهية والكتابية من أن" النظام اللغوي الذي يسود فيه الصوت يتفق مع الميول التجميعية (المساعدة على الائتلاف)، أكثر من اتفاهه مع الميول التحليلية، التجزيئية.¹⁶

في هذه الحالة التي نحن بصدد الحديث عنها، وهي القراءة الشفاهية المعبرة التي عادة ما تُؤدَّى أمام مجموعة من المستمعين المنصتين، والتي تسمى عادة بـ "القراءة المعبرة" توجب على القارئ أن يراعي عدة جوانب منها:

١ - التمهل في القراءة الشفاهية، وهو ما ذهب إليه ابن كثير في شرحه للآية السابقة " ورتل القرآن ترتيلاً" بقوله: " أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره"¹⁷. فالفهم مقرون بطريقة القراءة الشفاهية التي تتيح للسامع أن يتتبع معاني ما يُقرأ عليه، ولن يتأتى له ذلك إلا بالروية والهدوء حتى يساير النص المقروء شفاهاً، بل ويساير القارئ لهذا النص، ذلك لأنه لو كان يقرأ ما كُتب بمفرده لأعطى نفسه القدر الكافي من التمهل حتى يتبين معاني ما يقرأ في السطر الأول لينتقل إلى الذي يليه، وقد يعيد قراءة الجملة مرة وثانية ليتبين معناها.

غير أن ذلك يتطلب جهداً من المتلقي ليتمكن من تصور المعاني الواردة وفهمها، إذ على القارئ الشفاهي أن يتهياً للقراءة الشفاهية بأن يعود إليها بمفرده، فيقرأ النص عدة مرات ويحاول أن يستبطن صاحبه جاهداً قدر المستطاع أن يتمثل الكاتب الغائب ليكون له أحسن ممثل، وقد يتجاوز به يصدق في إعطاء النص روحاً تفوق توقعات الكاتب، ولن يتأتى له ذلك إلا بالشعور بما يشعر به الكاتب أو الشاعر لأن " الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان"¹⁸.

لذا عليه أن يستعين في قراءته للنص بجميع ما يملك من إشارات وتعبير تؤثر في المنصت وتغوص في أعماقه، لتكون قريبة تيسر عليه فهم المعاني الواردة في النص، فالقارئ الشفاهي لابد أن يكون ذلك الممثل المسرحي الناجح، ولن يتأتى له ذلك - وهو على خشبة، وأمام المشاهدين - إلا بامتلاكه لتلك القدرات والمهارات التي تشد المشاهدين إليه من خلال سيمياء الإشارات التي يلجأ إليها، فإنها تحقق ما يريد قوله، ولعل ذلك ما أراد أن يبينه الجاحظ بقوله: "مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت"¹⁹. لذلك يكون الأستاذ الناجح في هذه المرحلة الأولى من الدرس، هو ذلك الذي يكون ممثلاً بارعاً بتوظيف قدراته ومهاراته في إيصال ما يريد أن يقوله للمشاهدين باستعمال مختلف الوسائل التي تشد انتباه المنصت وتساعد على تمثيل المعنى وإدراكه، فيستعين بحركات اليد، وما أكثر ما تملكه من دلالات مختلفة على المعاني، كما يستعين بما يظهر من ملامح الوجه كالنقطيب

أو الانبساط، بالإضافة إلى العين والحاجب والشفة ، كل هذه الإشارات سواء كانت بالرأس أو باليد ، فهي جميعا تسهم في حسن التبليغ وجودة الإبانة ، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ بقوله: " والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم عليه التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف. وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدّل والشكل".²⁰ وكلها تسهم بقدر كبير في توضيح المعاني ، بل تسهم كذلك في التوكيد على المعنى المراد إيصاله إلى الطرف الثاني (المتلقي أو المنصت) ، كل ذلك لأجل تمكينهم من تكوين الفكرة وتجميعها في ذهنه عن طريق ما يسمع وما يشاهد من ملامح وحركات ، ولعل ذلك ما أشار إليه والترج أونج في حديثه عن الفرق بين البصر والسمع بقوله: "المثال الذي يسعى البصر للوصول إليه هو في العادة الوضع والتميز... أما المثال الذي يسعى السمع للتوصل إليه في المقابل، فهو الائتلاف أي التجميع.. فليست المعرفة في النهاية ظاهرة مجزئة بل موحدة، إنها السعي نحو الائتلاف. وحين يغيب الائتلاف وهو شرط داخلي، تعتل النفسية".²¹

إذا كان الهدف من القراءة الشفاهية الجهرية هو تربية وتعويد المستمع على فن السماع، كما أنه توقع حدوث تغير سلوكي لغوي من المتعلم، فإن الهدف الأساسي والأسمى هو تنمية الذوق الجمالي للمتعلمين وترسيخ القيم الجمالية للغة العربية فيهم، فالقراءة الشفاهية الجهرية التي تتوفر فيها هذه المواصفات والخصائص، تحقق جانبا كبيرا من الفهم، إن لم تكن الفهم كله، حيث تساعد المستمع على التعقيب والحوار والمناقشة، كما تساعد المنصت على تنمية الذوق الجمالي بتربية الأذن على الحس المرهف، حتى تصبح قادرة على التمييز بين الجيد والرديء والسمين والغث، وينعكس ذلك إيجابا على النفس فتُهذب، فتصير لا تركز إلا إلى الأدب الرفيع تقبل عليه وتتذوقه، وبه تستعين على سائر العلوم الأخرى، فينفتح لها مغلقها.

هوامش المصادر و المراجع :

1. تامر سلوم. نظرية اللغة والجمال في النقد العربي. دار الحوار. ط1. سوريا 1983. ص178.
2. عبد الرحمان بن خلدون . المقدمة . دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان 1982. ص773
3. علي أحمد مذكور. تدريس فنون اللغة العربية .دار الفكر العربي .القاهرة مصر. 2000م. ص61
4. انظر: علي أحمد مذكور. تدريس فنون اللغة العربية. المرجع السابق. ص60، 61.
5. والترج. أونج – الشفاهية والكتابية .ترجمة:د.حسن البنا عز الدين، مراجعة د.محمد عصفور. الكويت 1994م. ص147
6. والترج. أونج – الشفاهية والكتابية .المرجع نفسه . ص148
7. سورة: المزمل . الآية: 4
8. المقدمة . المرجع السابق. ص713.
9. علي أحمد مذكور. تدريس فنون اللغة العربية. المرجع السابق . ص58
10. سورة المزمل. الآية: 4
11. ابن منظور . لسان العرب . ط1 - ج2 دار الفكر بيروت ، لبنان. 2008.
12. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي .القاموس المحيط. ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد الباقي. دار الفكر .بيروت لبنان 2005.
13. والترج أونج- الشفاهية والكتابية. المرجع السابق. ص3
14. عماد الدين أبو الفراء اسماعيل بن كثير الدمشقي. تفسير القرن الكريم – مج: 4 - تحقيق: أنس محمد الشامي، محمد سعيد محمد. دار البيان العربي. 2006. ص559.
15. جورج سانتنيانا. الإحساس بالجمال ترجمة د.محمد مصطفى بدوي.مراجعة د.زكي نجيب محمود. كتبة الأنجلو المصرية. القاهرة . مصر.(ب.ت). ص90.
16. الجاحظ. البيان والتبيين. ج1، ص83.
17. جورج سانتنيانا. الإحساس بالجمال. المرجع السابق. ص90.
18. المرجع نفسه. ص96-97.
19. المرجع نفسه. ج1. ص79.
20. المرجع نفسه. ج1. ص79.
21. والترج أونج- الشفاهية والكتابية. المرجع السابق. ص149